معلومات البحث
أستلم: 05-09-2015
المراجعة: 22-09-2015
النشر: 1-10-2015

الحذف عند الزمخشري

أحمد إسماعيل عناقوة
أ.د.الحاجة سلمى
UKM

Printed ISSN: 2314-7113

Online ISSN: 5809-2289

الملخص

تعد ظاهرة الحذف من أبرز الظواهر في اللغة العربية لما لها من دور في جذب انتباه المتلقي، ولما تثيره في ذهنهِ من أشواق من أجل تقدير الجزء المحذوف وملء فراغات النّصّ عبر الدليل المذكور والعنصر المحذوف، اعتماداً على المرجعية العائدة إلى المعطيات المذكورة التي يلمس معها المتلقي ترابطاً واضحاً بين أجزاء النّصّ . وقد التفت علماء اللغة قديماً وحديثاً لظاهرة الحذف؛ إذ قال عبد القاهر الجرجاني(ت 471هـ) في حدّه الحذف ": هو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيهٌ بالسحر، فإنّك ترى به تركَ الذكر أفصحَ من الذكر، والصمتَ عن الإفادة أزيدَ للإفادة، وتجدُك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ. وكتاب "الكشاف" للزمخشري يعد من أهم كتب التفاسير التي تحدثت عن الحذف القرآني. فالبحث يدور حول مشكلة ما اتضحت لنا من خلال ملاحظة غموض دار حول معرفة المسائل البلاغية التي تطرق اليها الزمخشري في كتابه "الكشاف"، فضلاً عن غموض معنى الآية التي جاءت فيها الحذف، فضلا عن غياب معناها عن القارئ والمستمع، و كذلك كان لندرة الباحثين في كتاب الزمخشري من حيث الحذف البلاغي في القرآن الكريم سبباً آخر دفعني للبحث في هذا الموضوع . وكان الهدف من هذه الدراسة بيان معنى الحذف لغةً واصطلاحاً وبيان أهم أنواعه وأقسامه وتوضيح طرق كشف الحذف في النص القرآني داخل الآية الكريمة ثم إعطاء

مجموعة من التخمينات التي تتناسب مع المقام وترجيح أيهما أقرب لواقع النص القرآني . وقد إعتمدت هذه الدراسة بشكل عام على المنهج النوعي إذ بحثت في أنواع الحذف الوارد في النصوص القرآنية، وكذلك المنهج التحليلي في تحليل الآيات القرآنية، والمنهج المقارن واعتمدته من أجل المقارنة بين النصوص القرآنية، والمنهج الاستقرائي لاستقراء الآيات الكريمة واستنطاقها، من خلال الرجوع إلى المعاجم اللغوية والتفاسير القرآنية والكتب البلاغية والدلالية. والنتائج كانت أن هناك عوامل عدة تسهم في توضيح المعنى المحذوف منها دلالة سياق النص ومنهم المتلقي وإتساع المعنى فكلها عوامل تصب في خدمة المتلقي لتوضيح المعنى المحذوف داخل الجزء المحذوف وبالتالي يسهل أمر اكتشافه داخل النص المطروح.

Abstract:

The deletion is one of the most prominent events in the Arabic language because of their role in attracting the attention of the recipient, And raised in his mind of longings in order to estimate the portion of the deleted text and fill the voids through the existed element and the deleted one depending on the reference data belonging to mentioned elements where the receiver can find a clear correlation between parts of the text. The Language scientists have turned to the deletion matter centuries ago till the modern era, Abd ul-Qahir Al-Jerjany said (471h.) "Is an accurate course door, a nice outlet, wondrous it, like magic, you see that leaving the speak better than say it and the silence for benefit is more benefit and more complete if you do not say it"

And Al-Zamakhshary's book (AL-Kashaf) is one of the most important explanations books that talked about the Quranic deletion.

This Research is about the problems that was not clear for many people and also because of the ambiguity that noted about knowledge of rhetorical questions that Zamakhshari talked about in his book (Al-Kashaf) As well as the ambiguity of the meaning of the verse in which the deletion came, as well as the absence of meaning for the reader and listener, and so was the dearth of researchers in the book Zamakhshari where the deletion of the rhetoric in the Quran another reason prompted me to discuss this topic.

The aim of this study is to clarify the meaning of deletion and idiomatically language of the statement and the statement of the most important types and divisions and to clarify the methods of detection of deletions in the text of the Qur'an in the verse and then give a range of guesses that are commensurate with the place and the likelihood whichever is closer to the reality of the Quranic text. This study generally relies on qualitative approach where looked at the types of deletions contained in scripture, as well as the analytical method in Quranic verses analysis, the comparative method and adopted in order to compare the Quranic texts, and inductive approach to extrapolate verses and pronounce it, by reference to the language dictionaries and explanations of Quranic books rhetorical and semantic, the results were that there are several factors that contribute to clarify the meaning of the deleted ones denote the context of the text, including the receiver and breadth of meaning they are all factors that are in the service recipient to clarify the meaning of the deleted section within the deleted and therefore is easily detected within the text before.

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على الرسول الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .أما بعد؛

تعد ظاهرة الحذف من أبرز الظواهر في اللغة العربية لما لها من دور في جذب انتباه المتلقي، ولما تثيره في ذهنهِ من تقدير الجزء المحذوف وملء فراغات النّصّ عبر الدليل المذكور والعنصر المحذوف، والمرجعيّة العائدة إلى المذكور التي يلمس معها المتلقي ترابطاً واضحاً بين أجزاء النّصّ.

وقد التفت علماء اللغة قديماً وحديثاً لظاهرة الحذف؛ إذ قال عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) في حدّه الحذف: " هو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيهٌ بالسحر، فإنّك ترى به تركَ الذكر أفصحَ من الذكر، والصمتَ عن الإفادة أزيدَ للإفادة، وتجدُك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِنْ".

وكتاب "الكشاف" للزمخشري يعد من أهم كتب التفاسير التي تحدثت عن الحذف القرآني.

مشكلة البحث :

يدور البحث حول مشكلة ما اتضحت لنا من خلال ملاحظة غموض دار حول معرفة المسائل البلاغية التي تطرق إليها الزمخشري في كتابه " *الكشاف*"، فضلاً عن غموض معنى الآية التي جاءت فيها الحذف، وكذلك غياب معناها عن القارئ والمستمع، إضافة ندرة الباحثين في كتاب الزمخشري من حيث الحذف البلاغي في القرآن الكريم سبباً آخر دفعني للبحث في هذا الموضوع.

أهداف البحث :

كان الهدف من هذه الدراسة بيان معنى الحذف لغةً واصطلاحاً وبيان أهم أنواعه وأقسامه وتوضيح طرق كشف الحذف في النص القرآني داخل الآية الكريمة ثم إعطاء مجموعة من التخمينات التي تتناسب مع المقام وترجيح أيهما أقرب لواقع النص القرآني .

منهجية البحث :

إعتمدت هذه الدراسة بشكل عام على المنهج النوعي إذ بحثت في أنواع الحذف الوارد في النصوص القرآنية، وكذلك المنهج التحليلي في تحليل الآيات القرآنية، والمنهج المقارن واعتمدته من أجل المقارنة بين النصوص القرانية، والمنهج الاستقرائي لاستقراء الآيات الكريمة واستنطاقها، من خلال الرجوع إلى المعاجم اللغوية والتفاسير القرآنية والكتب البلاغية والدلالية.

الحذف عند الزمخشري :

الحذف لغة: جاء في اللسان": حذف: حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً : قَطَعَه مِنْ طَرَفه، والحَجَّامُ يَحْذِفُ الشعْر، مِنْ ذَلِكَ، والحُذافةُ :مَا حُذِفَ مِنْ شَيْءٍ فَطُرِح"[1]، وذكر صاحب التهذيب أن" الحَذْف: قَطْفُ الشَّيءِ من الطَّرَفِ كَمَا يُحْذَفُ ذَنْب الدَّابَّة[2]، وجاء في جمهرة اللغة في معنى الحذف": وحذفت رَأسه بِالسَّيْفِ حذفا إِذا ضَربته بِهِ فَقطعت مِنْهُ قِطْعَة " [3]، وجعل الجوهر الحذف بمعنى الإسقاط، فقال:" حذف الشيء :إسقاطه "[4]وبذلك فالمعنى اللغوي للحذف يدور حول ثلاثة معانٍ، وهي :القطف، والقطع، والإسقاط.

وأما الحذف اصطلاحاً فهو في اصطلاح النحاة: هو"إِسْقَاط الشَّيْء لفظاً وَمعنى "[5]أو"إسقاط حركة أو كلمة أكثر أو أقل، وقد يصير به الكلام المساوي موجزا "[6]وفي هذا السياق ميز الكفوي (ت: 1094هـ) الحذف عن الإضمار فقال : والإضمار :إِسْقَاط الشَّيْء لفظا لَا معنى "[7] غير أن الرماني (ت: 384هـ) كان قد وضع شرطاً للحذف فقال" :

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، بيروت :دار صادر، ط (3)، 1414هـ، ج9، ص:39.

[2] الأزهري، محمد بن أحمد، *تهذيب اللغة*، تحقيق :محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م، ج4، ص270.

[3] ابن دريد، محمد بن الحسن، *جمهرة اللغة*، تحقيق :رمزي منير بعلبكي، بيروت :دار العلم للملايين، ط (1)، 1987م، ص 508.

[4] الجوهري، إسماعيل بن حماد، *تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق :أحمد عبد الغفور عطار، بيروت :دار العلم للملايين، ط (4)، 1987م، ج4، ص 1341.

[5] أيوب بن موسى، الكفوي، *الكليات*، تحقيق :عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت :مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت، 1413هـ، ص384.

[6] التهانوي، محمد بن علي،*كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، تحقيق :علي دحروج، بيروت :مكتبة لبنان، ط (1)، 1996م، ص682.

[7] المرجع السابق، ص: 384.

إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها في الحال أو فحوى الكلام "[8] وفي هذا المعنى قال الزركشي (ت: 794هـ)":(إِسْقَاطُ جُزْءِ الْكَلَامِ أَوْ كُلِّهِ لِدَلِيلٍ . وَأَمَّا قَوْلُ النَّحْوِيِّينَ الْحَذْفُ لِغَيْرِ دَلِيلٍ، وَيُسَمَّى اقْتِصَارًا) "[9].

فالنحاة انطَلقوا في تعريفهم لمصطلح الحذف من المنطق الإعرابي، متوسِّلين ببعض التأويلات النحوية؛ مثل :التقدير الإعرابي، والإضمار، لدراسته والبحث فيه، وكان غرَضُهم في ذلك دراسة التركيب والعلاقات النحويَّة، وإيجاد أوْجه التفسير لحركة معيَّنة أو إعراب مُتضَمنٍ في التركيب النحوي لجملةٍ ما .

الفرق بين الحذف البلاغي والحذف النحوي:

لقد نبّه ابن هشام على حقيقة الحذف النحوي، والفرقِ بينه وبين الحذف البياني، فقال": الحذف الذي يلزم النحوي النظرُ فيه هو ما اقتضته الصناعة، وذلك بأن يجد خبرا بدون مبتدأ أو بالعكس، أو شرطاً بدون جزاء أو بالعكس، أو معطوفاً بدون معطوف عليه، أو معمولاً بدون عامل؛ نحو" :ليقولن الله"، ونحو: " قالوا خيرا"، ونحو" :خير عافاك الله"، وأما قولهم في نحو" :سرابيل تقيكم الحر "إن التقدير :(البرد)، ونحو" :وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل "إن التقدير :(ولم تعبدني)، ففضول في فنِّ النحو، وإنما ذلك للمفسِّر . وكذا قولهم :يحذف الفاعل لعظمته وحقارة المفعول أو بالعكس، أو للجهل به، أو للخوف عليه، أو منه، ونحو ذلك فإنه تطفل منهم على صناعة البيان ...وأما قولهم في راكب الناقة : »طليحان «إنه على حذف عاطف ومعطوف؛ أي : والناقة فلازم لهم؛ ليطابق الخبر المخبر عنه، وقيل هو على حذف مضاف؛ أي :أحد طليحين .وهذا لا يتأتى في نحو غلام زيد ضربتهما . [10]

وفرّق كذلك أبو العسكري بين الحذف الذي يتعلق بالصناعة النحوية وبين الاختصار الذي يتعلق بالبيان فقال :

"الْفرق بَين الِاخْتِصَار والإيجاز":

---

[8] الرماني، علي بن عيسى، *النكت في إعجاز القرآن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن*، تحقيق :محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، مصر :دار المعارف، ط (3)، د.ت، 1934، ص70.

[9] الزركشي، بدر الدين محمد، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق :محمد أبو الفضل، بيروت :دار إحياء الكتب العربية، ط (1) ، 1957م، ج3، ص 102.

[10] ابن هشام، عبد بن أحمد بن يوسف بن الله، *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*، تحقيق :مازن المبارك، محمد علي محمد حمد الله، ط6، دار الفكر، دمشق :، ج1، 1985م، ص853.

أَن الِاخْتِصَار هُوَ إلقاؤك فضول الْأَلْفَاظ من الْكَلَام الْمُؤلف من غير إخلال بمعانية وَلِهَذَا يَقُولُونَ قد اختصر فلَان كتب الْكُوفِيّين أَو غَيرهَا إِذا ألْقى فضول ألفاظهم وَأدّى معانيهم فِي أقل مِمَّا أدوها فِيهِ من الألفاظ فالاختصار يكون فِي كَلَام قد سبق حُدُوثه وأليفه والإيجاز هُوَ أَن يبْنى الْكَلَام على قلَّة اللَّفْظ وَكَثْرَة الْمعَانِي يُقَال أوجز الرجل فِي كَلَامه إِذا جعله على هَذَا السَّبِيل وَاخْتصرَ كَلَامه أَو كَلَام غَيره إِذا قصره بعد إطالة فَأن اسْتعْمل أَحدهمَا مَوضِع الآخر فلتقارب معنييهما.

"الْفرق بَين الْحَذف والاقتصار":

أن الحذف لَا بُد فِيهِ من خلف ليستغنى بِهِ عَن الْمَحْذُوف والاقتصار تَعْلِيق القَوْل بِمَا يحْتَاج إِلَيْهِ من الْمَعْنى دون غَيره مِمَّا يسْتَغْنى عَنهُ والحذف إِسْقَاط شَيْء من الْكَلَام وَلَيْسَ كَذَلِك الِاقْتِصَار."[11]

والمحذوف في النحو يعامل معاملة المذكور من حيث الأحكام:

يقول الزركشي: " أعلم أن المضاف إذا علم جاز حذفه، مع الالتفات إليه، فيعامل معاملة الملفوظ به من عود الضمير عليه، ومع اطراحه يصير الحكم في عود الضمير للقائم مقامه؛ فمثال استهلاكه حكمه وتناسى أمره؛ قوله تعالى: ﴿ أو كظلمات في بحر لجيّ يغشاه موج ﴾ فإن الضمير في يغشاه عائد على المضاف المحذوف بتقدير أو: (كذي ظلمات)، وقوله: " أو كصيب"؛ أي : كمثل ذوي صيب؛ ولهذا رجع الضمير إليه مجموعا في قوله" :يجعلون أصابعهم في أذانهم"، ولو لم يراع لأفرده أيضا . [12]

وهذا المفهوم للحذف لم يكن من صنع النحاة، وإنّما استقوه من فصيح كلام العرب؛ من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة وكلام العرب من شعر ونثر، قال السيوطي: " ومن سنن العرب الحذفُ والاختصار يقولون: والله أفعلُ ذاك تريدُ لا أفعل .[13]

أسباب الحذف:

---

[11] دار العلم والثقافة للنشر :محمد إبراهيم سليم، القاهرة : العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الفروق اللغوية، تحقيق. ت، ص40.ط، د.والتوزيع، د

[12] الزركشي، بدر الدين محمد، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق :محمد أبو الفضل، بيروت :دار إحياء الكتب العربية، ط (1) ، 1957م، ج3، ص150.

[13] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة، تحقيق :فؤاد علي منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م ج1، ص: 260.

وقد اختلف النحاة والبلاغيون في أسباب ظاهرة الحذف فهي عند النحاة: كثرة الاستعمال، طول الكلام، الضرورة الشعرية، والحذف للإعراب، والحذف للتركيب، والحذف لأسباب قياسية صرفية أو صوتية، والحذف لإلتقاء الساكنين، ولتوالي الأمثال، وحذف حروف العلة استثقالاً، وحذف الهمزة استثقالاً، والحذف للوقف، وحذف صيغ الجمع، وصيغ التصغير، والحذف لأسباب قياسية تركيبية . وأما البلاغيون فأسباب الحذف عندهم هي: التخفيف، والاتساع، والإيجاز واختصار الكلام، وتحقير شأن المحذوف، والجهل في المحذوف، والخوف منه أو عليه، ورعاية الفاصلة والمحافظة على السجع، والأشعار باللهفة، وأن الزمن يتقاصر عن ذكر المحذوف، والتفخيم والاعظام بما فيه من الابهام، والعلم الواضح بالمحذوف .

أنواع الحذف وفوائده:

وفيما يتعلق بأنواع الحذف الحذف، فقد ذكر منها العلماء : الاقتطاع، والاكتفاء، والاحتباك، والضمير والتمثيل، والاختزال.

وأما الفائدة التي تترتب على الحذف فقد ذكرها الزركشي، فقال: " التفخيم والإعظام، وزيادة لذّة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وزيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك، وطلب الإيجاز والاختصار والتشجيع على الكلام، وموقعه في النفس من موقعه على الذكر[14]".

التعريف بتفسير الكشاف وارآء العلماء فيه:

ويعد تفسير الكشاف من أهم الكتب والتفاسير التي تحدثت عن الحذف القرآني، وللزمخشري وهو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، الإمام الحنفي، الملقب بجار الله، ولد في رجب سنة (467) هـ سبع وستين وأربعمائة من الهجرة (بزمخشر – قرية من قرى خوارزم وقدم بغداد، ولقى الكبار وأخذ عنهم، دخل خراسان مراراً عديدة .وما دخل بلداً إلا واجتمع عليه أهلها وتتلمذوا له، وما ناظر أحداً إلا وسلَّم له واعترف به. ولقد عظم صيته وطار ذكره حتى صار إمام عصره من غير مدافعة.

[14] الزركشي، بدر الدين محمد، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق :محمد أبو الفضل، بيروت :دار إحياء الكتب العربية، ط (1) ، 1957م، ج3، ص120.

ليس عجباً أن يحظى الزمخشري بكل هذا وهو الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو، واللغة والأدب، وصاحب التصانيف البديعة في شتَّى العلوم. ومن أجَّل مصنفاته: كتابه في *تفسير القرآن العزيز* الذي لم يُصنَّف قبله مثله، و*المحاجاة في المسائل النحوية*، و*المفرد والمركب في العربية*، و*الفائق في تفسير الحديث*، و*أساس البلاغة في اللغة*، و*المفصَّل في النحو*، و*رؤوس المسائل في الفقه* .. وغير هذا كثير من مؤلفاته.[15]

وما احتواه تفسيره الذي جمع بين البلاغة والنحو ورجع إليه كثير من المفسرين في المسائل اللغوية، حيث فيه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ولما ظهر فيه من جمال نظم القرآني وبلاغته، وليس كالزمخشري من يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن وسحر بلاغته، لما برع فيه من المعرفة بكثير من العلوم، ولا سيما ما برز فيه من الإلمام بلغة العرب والمعرفة بأشعارهم وما امتاز به من الاحاطة بعلوم البلاغة.[16] ولما علم الزمخشري أنّ كتابه قد تحلّى بأوصاف عديدة قال متحدثاً بنعمة الله:

إنّ التفاسير في الدنيا بلا عددٍ ** وليس فيها لعمري مثلُ كشافي

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ** فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وقد اعترف له خصومه بالبراعة وحسن الصناعة، فهذا ابن بشكوال[17]، يقارن بين تفسرين، تفسير ابن عطية، وتفسير الزمخشري، حيث جعل للأول على أنه" أنقل وأجمع وأخلص"، ويقول في *الكشاف* "ألخص وأغوص"، ويسترسل في الكلام حتى يقول":فتركه عقلا لمن يصطاده، وغفلا لمن يرتاده[18]، وقال ابن خلدون[19] ومن أحسن ما اشتملت عليه كتب التفسير في اللغة والإعراب والبلاغة كتاب *الكشّاف* للزمخشري [20].

---

[15] محمد السيد حسين الذهبي (ت 1398 ه)، *التفسير والمفسرون*، الناشر : مكتبة وهبة، القاهرة، ج1، 1365ه، ص 304.

[16] المرجع السابق، ص 306.

[17] ابن بشكوال :هو أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود بن بشكوال بن يوسف بن داحة ابن داكة بن نصر بن عبدالكريم بن وافد الخزرجي الأنصاري القرطبي، من علماء الأندلس، وله تصانيف مفيدة، منها كتاب *الصلة*، وكتاب *الغوامض والمبهمات*. ينظر : وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي) ت: 618ه،(المحقق إحسان عباس، الناشر :دار صادر–بيروت، ج2، ص240، ط1، 1994م.

[18] محمد السيد حسين الذهبي (ت 1398ه)، *التفسير والمفسرون*، الناشر : مكتبة وهبة، القاهرة، ج1، 1365ه، ص 308.

كذلك نجد السيوطي في كتابه *بغية الوعاة*، يشيد بالزمخشري بقوله كان واسع العلم، كثير الفضل، غاية في الذكاء، وجودة القريحة، متفنناً في كل علم [21].

نموذج تحليل الحذف وأثره في المعنى في كتاب *الكشاف* للزمخشري:

تقوم منهجية التحليل في هذا النموذج على عناصر منها: دلالة السياق؛ إذ يوظف الباحث السياق للتوصل إلى المعنى المراد، والعنصر الثاني هو اتساع المعنى، ويحاول الباحث في ضوء المحذوف استقصاء المعاني المحتملة التي يمكن أن يتيحها التركيب عند حذف عنصر من عناصره، وأما العنصر الثالث فهو فهم المتلقي، ويتناول فيه ما يمكن أن يرجحه المتلقي للخطاب من المعاني المتاحة للوصول إلى المعنى الصحيح. ولتطبيق عناصر التحليل الآنفة الذكر يتناول الباحث الآية 155من سورة النساء كنموذج للتحليل على النحو الآتي :

قال تعالى :﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [22]

اتساع المعنى:

لا شكَّ أن حذف عنصر من التركيب يفتح المجال واسعا أمام المتلقي للبحث عن ذلك العنصر المحذوف، وإعادة تركيبه ليأخذ مكانه الذي يليق به بالتركيب، ويكتمل المعنى ولكن هذا شريطة ألا يحدث الحذف فجوة في النص وخللاً يصعب

---

[19] ابن خلدون :هو عمر بن أحمد (أو محمد) بن تقي بن عبدالله أبو مسلم بن خلدون الحضرمي من حكماء الأندلس من أشراف أشبيلية مولده ووفاته فيها، وتقدّم في علوم الفلسفة، وعاش متشبها بالفلاسفة في سيرته وأخلاقه، وتوفي سنة 449هـ، ينظر كتاب *الأعلام*، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت:1396 هـ)، الناشر :دار العلم للملايين، ط15، 2002م، ج5، ص40.

[20] المرجع السابق، ص: 310.

[21] عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(ت911هـ) ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المحقق :محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر :المكتبة العصرية-لبنان-صيدة، ج1384،2هـ، ص: 280.

[22] سورة النساء، آية: 155.

معه تقدير المحذوف المناسب، بيد أنه ليس شرطا أن يكون المحذوف المقدر لاكتمال المعنى وإتمامه واحدا فقد يتعدد بتعدد المتلقين والمفسرين وهذا التعدد ينبثق عنه معانٍ جديدة تمنح الحذف ميزة في توسيع المعنى وتعدد الدلالات .

وفي الآية السابقة أدى الحذف إلى تعدد المعاني والدلالات؛ وذلك بسبب حذف الجواب، في قوله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾ ورأي الزمخشري في الجواب المحذوف هو أنه " يتعلق بمحذوف ، كأنه قيل : فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا [23]."

وقد أشار ابن عاشور إلى المعاني التي تحتملها الآية الكريمة، فقال: "ومتعلق قوله (بما نقضهم)يجوز أن يكون محذوفا؛ لتذهب نفس السامع في مذاهب الهول ، وتقديره : فعلنا بهم ما فعلنا . ويجوز أن يتعلق بـ (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم)، وما بينهما مستطردات، ويكون قوله فبظلم من الذين هادوا كالفذلكة الجامعة لجرائمهم المعدودة من قبل. ولا يصلح تعليق المجرور بـ (طبع)؛ لأنه وقع رداً على قولهم: قلوبنا غلف، وهو من جملة المعطوفات الطالبة للتعلق، لكن يجوز أن يكون (طبع) دليلاً على الجواب المحذوف [24]."وذهب بعضهم إلى تقدير جواب محذوف هو (لعناهم) [25].

وعليه فإن تقدير الجواب المحذوف أدى إلى وجود معانٍ، وهي كما يأتي:

1. فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا.
2. فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم.
3. متعلق بقوله تعالى:﴿حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾، وما بينهما مستطردات.

➢ ولعل المعنى الأقرب إلينا هو(فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم).

فهم المتلقي:

[23] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، *الكشاف*، تحقيق :يوسف الحمادي، مصر :مكتبة مصر، د.ط، د.ت، ج1، 1407هـ، ص: 507.

[24] ابن عاشور، محمد الطاهر، *التحرير والتنوير*، تونس :الدار التونسية للنشر، 1984م،ج6، ص:17.

[25] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق :عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت :مؤسسة الرسالة، 2006م، ج7، ص 208-209.

سبق وأن أشرنا إلى العلاقة التي تربط الحذف باتساع الدلالات وتعدد المعاني والمحرك الرئيس في تعدد المعاني هو المتلقي؛ إذ يترتب تعدد المعاني على فهم المتلقي وقد إلتفت القدامى إلى الدور الذي يلعبه فهم المتلقي في تأويل آي الذكر الحكيم متمثلا قي الآية السابقة.

ويلتفت ابن عطية إلى دور المتلقي في فهم الكلام المحذوف في الآية السالفة الذكر، فيقول في معرض الحديث عن تقدير الجواب في قوله تعالى: "فبما نقضهم ميثاقهم" : "وحذف جواب هذا الكلام بليغ متروك مع ذهن السامع [26] ."

ويرد أبو حيان على كل من جوز أن يكون قوله" :فبما نقضهم "متعلق بقوله تعالى:﴿ حرمنا عليهم ﴾ بأن هذا الاحتمال بعيد والسبب في ذلك كما ذهب أبو حيان: "لكثرة الفواصل بين البدل والمبدل منه؛ ولأن المعطوف على السبب سبب؛ فيلزم تأخر بعض أجزاء السبب الذي للتحريم في الوقت عن وقت التحريم ؛ فلا يمكن أن يكون جزء سبب أو مسببا إلا بتأويل بعيد وبيان ذلك أن " قولهم على مريم بهتانا عظيما " وقولهم " إنا قتلنا المسيح " متأخر في الزمان عن تحريم الطيبات عليهم."[27]

والمعنى الآخر المتحصل هو ما ذهب إليه الزجاج حينما جعل العامل في الباء قوله تعالى: ﴿ حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾، وعليه فإن الجزاء الذي لقيه بنو اسرائيل على نقضهم الميثاق وقتلهم الأنبياء هو تحريم طيبات أحلت لهم [28] .

ومن هنا نلاحظ أن اختلاف فهم المتلقي أدى إلى تأويلات مختلفة وهذه التأويلات التي إنصرف إليها فهم المتلقي جاءت بفعل الحذف فأبو حيان ذهب إلى تقدير جواب المحذوف بـ (لعناهم) والزجاج جعل الجواب قوله: ﴿ حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ على إعتبار أن قوله تعالى: ﴿ فبظلم من الذين هادوا ﴾ جاء بدلاً من قوله: "بما نقضهم ميثاقهم ."و(حرمنا) جاءت جوابا لقوله: ﴿ فبظلم من الذين هادوا ﴾ وهي بدل من قوله: "فبما نقضهم ميثاقهم " إذا يكون جواب (فبما نقضهم) هو (حرمنا) على أن البدل يصح أن يحل محل المبدل منه .

دلالة السياق:

---

[26] أبو حيان، *البحر المحيط*، تحقيق :عادل أحمد ، وعلي معوض، بيروت :دار الكتب العلمية، ط1، 1993م، ج3، ص: 403.

[27] المرجع السابق.

[28] الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق :عبد الجليل عبده شلبي، بيروت :عالم الكتب، ط1، 1988م، ج2، ص127.

إذا كان اتساع الدلالات مرهون بفهم المتلقي فإن فهم المتلقي مرهون هو الآخر بدلالة السياق؛ إذ إن فهم المتقي وتوليده للمعاني لا يمكن أن يكون خارجاً عن دلالة السياق ولاسيما إذا كان النص الذي يتعامل معه نصاً قرآنياً؛ إذ لابد أن ينسجم التأويل والفهم مع السياق الذي جاءت الآية به، وإلا كان التأويل لا ينسجم مع المعنى .وعليه نلحظ أنه كان للسياق حظ وافر في الآية موضوع التأويل وتمثل ذلك فيما ذهب إليه أبو حيان حين جعل الجواب المحذوف لقوله تعالى: ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾ هو: (لعناهم) مقيسا على السياق في آية مماثلة جاء في قوله تعالى: ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ [29] .

ومنع الزمخشري أن يكون المحذوف الذي تعلقت به الباء قد دل عليه قوله: "بل طبع الله عليها"...؛ ليبكون التقدير :فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم، فقال: "لم يصح هذا التقدير؛ لأن قوله: (بل طبع الله عليها بكفرهم) رد وإنكار لقولهم (قلوبنا غلف) فكان متعلقا به، وذلك أنهم أرادوا بقولهم (قلوبنا غلف) أن الله خلق قلوبنا غلفا، أي في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة، كما حكى الله عن المشركين (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم)[30] ."... (والسبب في ذلك أن المعنى الذي ينبثق من هذا التقدير لا يتساوق مع السياق الذي جاءت فيه الآية .

النتائج:

1. تنوع الحذف في كتاب *الزمخشري* بين حذف الحرف وحذف الكلمة والجمل.
2. خروج الحذف لغايات متعددة ومتنوعة لجذب انتباه المتلقي.
3. تنبيه المتلقي على أهمية الحذف في السياق.
4. تسهيل ما كان غامضا من مفهوم الآية بعد إبراز موقع الحذف وتتبع دلالاته.

[29] سورة المائدة، آية 13.

[30] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، *الكشاف*، تحقيق :يوسف الحمادي، مصر :مكتبة مصر، د.ط، د.ت، ج1، 1407 هـ، ص: 507-508.

المصادر والمراجع:

- ابن بشكوال :هو أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود بن بشكوال بن يوسف بن داحة ابن داكة بن نصر بن عبدالكريم بن وافد الخزرجي الأنصاري القرطبي، من علماء الأندلس، وله تصانيف مفيدة، منها كتاب *الصلة*، وكتاب *الغوامض والمبهمات*.ينظر :وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي (ت:618هـ)، المحقق إحسان عباس، الناشر :دار صادر-بيروت، ج2، ص240، ط1، 1994م.
- ابن جني، *الخصائص*، تحقيق:محمّد على النجّار،الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، ط3، 1406هـ، 1986م .ج2.
- ابن خلدون :هو عمر بن أحمد) أو محمد (بن تقي بن عبدالله أبو مسلم بن خلدون الحضرمي من حكماء الأندلس من أشراف أشبيلية مولده ووفاته فيها، وتقدّم في علوم الفلسفة، وعاش متشبها بالفلاسفة في سيرته وأخلاقه، وتوفي سنة 449هـ، ينظر كتاب *الأعلام*، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي(ت: 1396هـ)، الناشر :دار العلم للملايين، ط15، 2002م، ج5.
- ابن دريد، محمد بن الحسن، *جمهرة اللغة*، تحقيق :رمزي منير بعلبكي، بيروت :دار العلم للملايين، ط(1)، 1987م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، *التحرير والتنوير*، تونس :الدار التونسية للنشر، 1984م،ج6 .
- ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، بيروت :دار صادر، ط(3)، 1414هـ، ج9.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*، تحقيق :مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دمشق :دار الفكر، ط6، 1985م، ج1.

- أبو حيان، *البحر المحيط*، تحقيق :عادل أحمد ، وعلي معوض، بيروت :دار الكتب العلمية، ط1، 1993م، ج3.
- الأزهري، محمد بن أحمد، *تهذيب اللغة*، تحقيق :محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م، ج4.
- الزجاج، إبراهيم بن السري، *معاني القرآن وإعرابه*، تحقيق :عبد الجليل عبده شلبي، بيروت :عالم الكتب، ط1، 1988م، ج2.
- القرطبي، محمد بن أحمد، *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق :عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت :مؤسسة الرسالة، 2006م، ج7 .
- أيوب بن موسى، الكفوي، *الكليات*، تحقيق :عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت :مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت، 1413هـ.
- التهانوي، محمد بن علي،*كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، تحقيق :علي دحروج، بيروت :مكتبة لبنان، ط(1)، 1996م.
- الجرجاني، عبد القاهر، *دلائل الإعجاز*. الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، ط1، 2000م.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، *تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق :أحمد عبد الغفور عطار، بيروت :دار العلم للملايين، ط(4)، 1987م، ج4.
- الرماني، علي بن عيسى، *النكت في إعجاز القرآن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن*، تحقيق :محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، مصر :دار المعارف، ط(3)، د.ت، 1934.
- الزركشي، بدر الدين محمد، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق :محمد أبو الفضل، بيروت :دار إحياء الكتب العربية، ط(1)، 1957م، ج3.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، *الكشاف*، تحقيق :يوسف الحمادي، مصر : مكتبة مصر، د.ط، د.ت،

ج1، 1407هـ.

- سورة المائدة، الآية 13.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، *المزهر في علوم اللغة*، تحقيق :فؤاد علي منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م، ج1.

- عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(ت911هـ) ، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر :المكتبة العصرية-لبنان-صيدة، ج2،1384هـ.

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، *الفروق اللغوية*، تحقيق :محمد إبراهيم سليم، القاهرة :دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

- *محمد السيد حسين الذهبي (ت: 1398 هـ)*، *التفسير والمفسرون*، الناشر :مكتبة وهبة، القاهرة، ج1،1365هـ.